إلى الهدى أئمتنا

جمع وترتيب

محمد حسين يعقوب

دار التقوى
للنشر والتوزيع
شبرا الخيمة
ت : ٤٧١٥٥٠٦ - ٤٧٣١٨٢٤ - ٢٢٣١١٠٢

إهـــــداء

إلى أبي الحبيب .

أول من علمني حب الدين والبذل للدين .

أول من غرس في قلبي حب اللَّه وحب العلم .

ولأمي الحنون .

أول من أرضعتني حب عبادة اللَّه .

وإكرام المسلمين على الدوام .

للَّه درهما ، وعند اللَّه جزاؤهما .

رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا .

وايضا

إهـــــــداء

إلى صاحب الفكرة - فكرة هذا الكتاب - شقيق الروح ، وحبيب القلب أبي محمد المعتز بالله رضا صمدي .

رجاء أن يكون بلسمًا .

ولبناتي وزوجاتي اللاتي ساعدنني على إخراج هذا الكتاب وأخص الأخ هاني حلمي زوج ابنتي لما كان له من جهد مشكور .

جزى الله الجميع عني خير الجزاء .

وأوفى لهم الكيل الحسن يوم نلقاه .

مقدمة شيخنا الشيخ أبي بكر الجزائري حفظه الله

كلمة تقريظ

بعد حمد الله تعالى، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ...

أقول: لقد أهداني المحب الفاضل العلامة المصلح الشيخ محمد حسين يعقوب، أهداني مؤلَّفه «إلى الهدى ائتنا» وقرأته بعناية فوجدته نعم المؤلَّف يقدم في هذه الأيام لأمة الإسلام، وقد حوى هذا المؤلف القيم عشرين داءً مما تعانيه أمة الإسلام وبخاصة شبابها في وقت العلم.. ووا أسفاه.. ومع كل داء دواؤه، وكيفية استعماله، وأول تلك الأدواء: الجهل والهوى، وآخر داء طول الأمل. ولا يسعني هنا إلا أن أقول: يا أمة الإسلام، عليكم باقتناء هذا الكتاب وقراءته والعمل بما فيه، فإن من يقرأه ويحسن القراءة والفهم لا يلبث إلا أيامًا وهو ذو عقل ودين وعلم وبصيرة يدعو إلى الله، ويبين الطريق إليه؛ ليفوز السالكون برضا الله وحبه وحب رسوله والمؤمنين. اللهم اجعلنا منهم إنك ربنا وربهم، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

أبو بكر جابر الجزائري

المدرس بالمسجد النبوي الشريف بالمدينة النبوية

على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام

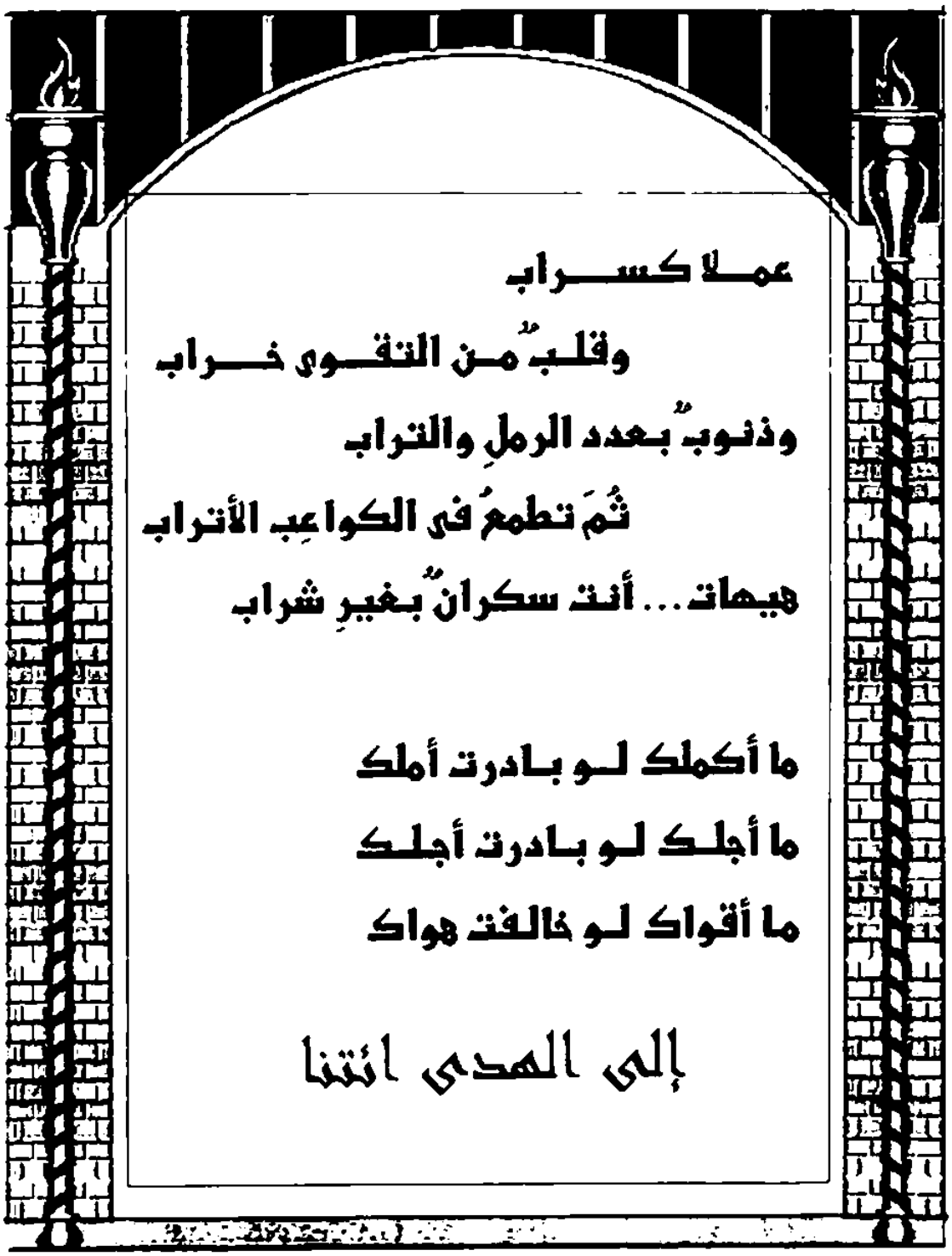

عملا كسراب

وقلبٌ من التقوى خراب

وذنوبٌ بعدد الرملِ والتراب

ثُمَ تطمعُ في الكواعِب الأتراب

هيهات... أنت سكرانٌ بغيرِ شراب

ما أكملك لو بادرت أملك

ما أجلك لو بادرت أجلك

ما أقواك لو خالفت هواك

إلى الهدى ائتنا

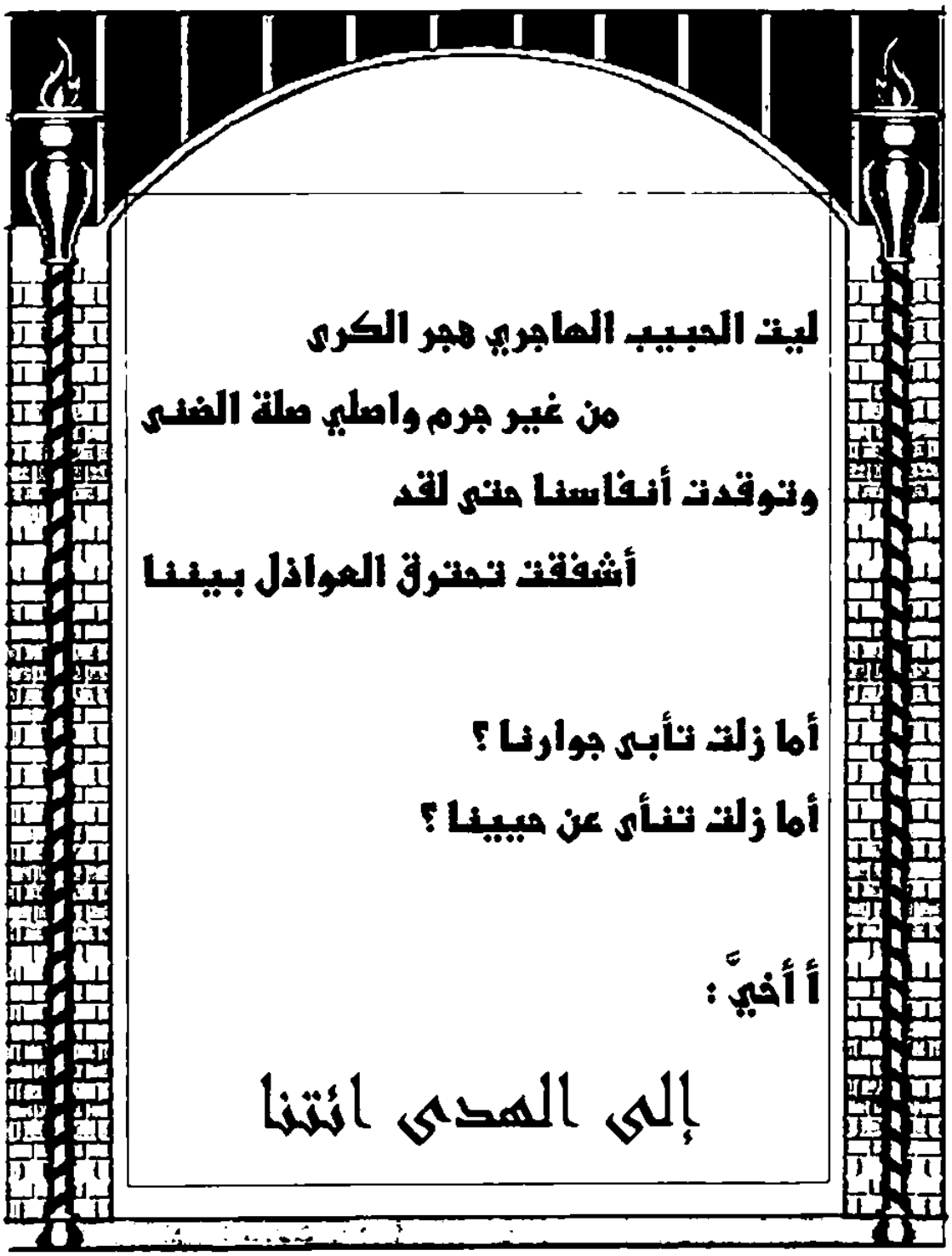

ليت الحبيب الهاجري هجر الكرى

من غير جرم واصلي صلة الضنى

وتوقدت أنفاسنا حتى لقد

أشفقت تحترق العواذل بيننا

أما زلت تأبى جوارنا ؟

أما زلت تنأى عن حبيبنا ؟

أ أخيَّ :

إلى الصدى ائتنا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قدم من شاء بفضله ، وأخّر من شاء بعدله ، لا يَعترضُ عليه ذو عقل بعقله ، ولا يسأله مخلوق عن علة فعله ، هو الكريم الوهاب ، هازم الأحزاب ، ومنشئ السحاب ، ومنزل الكتاب ، ومسبب الأسباب ، وخالق الناس من تراب ، سبحانه !

الواحد الأحد الماجد ، المتفرد بالتوحيد والتمجيد ، ليس له مثل ونديد ، هو المبدئ المعيد ، الفعال لما يريد ، سبحانه !

جلَّ عن اتخاذ الصاحبة والولد ، ولم يكن له كفوًا أحد ، سبحانه !

سبق الأشياء علمُه ، ونفذتْ فيها إرادتُه ، ولا يَعْزُبُ عنه مثقال ذرة ، سبحانه !

لم يلحقْه في خلقِ شيءٍ مما خلق كلال ولا لغوب ولا نصب ، سبحانه !

خلق الأشياء بقدرته ، ودبرها بمشيئته ، وقهرها بجبروته ، وذللها بعزته ، فذلت له الرقاب ، وحارت في ملكوته السموات السبع والأرض المهاد ، وثبتت الجبال الرواسي ، وجرت الرياح اللواقح ، وسار في جو السماء السحاب ، وقامت البحار ، وهو الله الواحد القهار ، سبحانه !

أستعينه وأستغفره ، وأتوب إليه ، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه ، اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديث كلام اللّه، وخيرَ الهَدْي هَدْيُ محمد - ﷺ - وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد.

يقول ربي - وأحق القول قول ربي -:

﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [الحديد: ١٦- ١٧]. اللهم أحيي موات قلوبنا.

وقال الله: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [النحل: ١١٠].

ويقول الله: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [النحل: ١١٩].

* قال رسول الله ﷺ : «**إن الإيمان ليَخلَقُ في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم**»[(١)] اللهم جدد الإيمان في قلوبنا .

* وقال ﷺ : «**ما من القلوب قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر ، بَيْنَا القمر يضيء إذ علته سحابة فأظلم إذ تجلت عنه فأضاء**»[(٢)] .

* وقال ﷺ : «**ما من عبد مؤمن إلا وله ذنب يعتاده الفينة بعد الفينة أو ذنب هو مقيم عليه لا يفارقه حتى يفارق الدنيا ، إن المؤمن خُلِقَ مفتَّنًا توابًا نَسِيًّا إذا ذُكّر ذكر**»[(٣)] .

* أيها الأحبة في الله : هذه الآيات وتلكم الأحاديث تشير إلى قضية هي من أخطر القضايا ، وتشير إلى موضوع هو من أهم الموضوعات التي ينبغي لكل مسلم أن يراقبها ويعالجها ، وهي أن الإيمان يبلى في القلب كما يبلى الثوب ، يهترئ .. يصبح قديمًا لا يصلح للبس .

تشير الآيات إلى أن طول الأمد يقسي القلب .. اللهم رطب قلوبنا بذكرك يا رب .

وهذه الآيات والأحاديث التي سقتها وعشرات من أشباهها وأمثالها تشير إلى أنه تعتري قلب المؤمن في بعض الأحيان سحابة من سحب المعصية فيظلم ، سحابة تحجب نور القلب ، فيبقى الإنسان في ظلمة ووحشة .

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/١) والحديث قاله الهيثمي في «المجمع» (٥٢/١) ورواه الطبراني في «الكبير» ، وإسناده «حسن» وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (١٥٨٥) .

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (١٩٦/٢) والديلمي (٨/٤٠) وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٦٨) .

(٣) رواه الطبراني (١٣٦/٣) . وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٢٧٦) .

يضيع ، يضل ، يبتعد ، يقصر ، ينتكس ، ينكص على عقبيه .

هذه الكلمات كلها مرادفات لمعنى واحد هو : ترك الصراط المستقيم واتخاذ طريق الشيطان الرجيم .. اللهم إنا نعوذ بك من الحور بعد الكور ، ومن الضلال بعد الهدى .

* إن الإنسان في مثل هذه الأوقات والتي قد تعتري كثيرًا من المؤمنين كما جاء بنص الحديث « **ما من عبد مؤمن إلا وله ذنب يعتاده الفينة بعد الفينة أو ذنب هو مقيم عليه لا يفارقه حتى يفارق الدنيا** »[1] .

* هذه الذنوب سحب تطفئ نور القلب ، فيظل الإنسان في التيه لا يدري ماذا يصنع ، يحتاج ساعتها إلى من يأخذ بيده للخروج من هذه الوحشة ، يحتاج إلى من يذكره ، يحتاج إلى من ينبهه ، من يُرَبِّتُ على كتفه ، من يهزه ، من يدفعه ، من يضغطه ، يضمه ، يعظه ، يوقظه فيقول : قم يا أخي فقد طال نومك واقترب الموت ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنبياء: ١- ٢] . اللهم إنا نسألك حسن الخاتمة .

يحتاج الإنسان إلى ذلك الشخص المُنَبِّه كي يُفِيقَ ، وبعدها يسعى لزيادة إيمانه مع الاستعانة بالله عز وجل في كل خطواته فتنقشع السحب ، فإذا نور القلب قد عاد ليضيء كما كان .

وهنا قاعدة لابد من تأصيلها والتأكيد عليها وهي : أن الإيمان نُطْقٌ باللسان ، واعتقاد بالجنان ، وعمل بالأركان ، يزيد بالطاعات وينقص بالعصيان ، هذا معتقدنا : نعتقد أن الإيمان يزيد وينقص ، وأن الإنسان يطيع ويعصي ، وأنه

---

(١) تقدم تخريجه ، وهو جزء من الحديث السابق .

ليس شرطا على عباد الله المتقين أن يكونوا معصومين، بل قد يعصي العبد وقد تضله المعصية، وتبعده عن الطريق لوقت يطول أو يقصر، ولمسافة قد تطول أو تقرب، ولكنه لم يخرج من حيز الإسلام، فإذا تاب وعاد تاب الله عليه.

اللهم تب علينا وعلى عصاة المسلمين.

بشراك - أخي التائب - بقول رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله عز وجل يَبْسُطُ يدَهُ بالليلِ ليتوبَ مسيءُ النهارِ ويَبْسُطُ يدَه بالنَّهارِ ليتوبَ مسيءُ الليلِ حتى تطلعَ الشمسُ من مغربها»**[1].

إنني قد أمسكت بقلمي اليوم لأكتب إليك.. لأخاطبك - أخي في الله -.. وأنا أريد أن أستوقفك معي لنتفقد إيماننا.. نتفقد إخواننا.. أكتب إليك لأسألك - حبيبي في الله -: كيف حالُ إيمانك..؟ كيف حال قلبك مع الله؟؟! أسأله سبحانه وتعالى أن يجعل قلوبنا متعلقة به، راجية لعفوه وغفرانه، وأن يجعل عملنا كله صالحًا، وأن يجعله لوجهه خالصا.

* قال بعض السلف: (**من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما ينقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد إيمانه أم ينقص؟ وإن من فقه الرجل أن يعلم نزغات الشيطان أنَّى تأتيه**).

لابد من وقفة لنرى مواقع أقدامنا على الصراط، أين نحن من الله؟ لابد من وقفة لنتعاهد إيماننا ونجدّده.. اللهم جدد الإيمان في قلوبنا.. نعم.. لابد من وقفة لنصلح حالنا مع الله لنتحسس موضع الداء، نضع أيدينا عليه فنصف الدواء بعد التشخيص الصحيح والقبول للدواء، فيحصل الشفاء - إن شاء الله - اللهم اشف قلوبنا واشف مرضانا ومرضى المسلمين. آمين.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٥٩) كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة.

إن معرفة الداء ووضع اليد عليه من مستلزمات السير ؛ لأننا إن لم ندرك أدواءنا لم ندرك أخطاءنا ولم نعمل على مداواتها ، فإنها تعمل في الهدم .. تهدم أعمالنا .. تهدم أعمارنا .. تهدم إيماننا فتسوء الخاتمة والعياذ بالله ، لذلك لابد لنا إذا أردنا أن نسير سيرًا صحيحًا ، وأن نبني إيمانا عاليًا أن نقف لنطهر الأساس .. لنرسي الجذور ، ونُرسّخ القواعد ، ثم بعد ذلك يرتفع البنيان بإذن الله ، ولكن إذا ظللنا على معاصينا ، واهملنا إخواننا الذين يتفلتون منا فأنّى لنا أن نبلغ التمكين ؟

مَتَى يَبْلغُ البُنْيانُ يَومًا تمامَه إذَا كُنْتَ تبنيه وغَيرُك يَهْدِمُ
وَلَوْ ألْفُ بَانٍ خَلْفَه ألفُ هَادِمٍ فَكَيْفَ بِبَانٍ خَلْفَه ألفُ هَادمِ

إن الهدم للدعوة كما أنه يحدث من الخارج بالضغوط والظروف ، بالعصاة والفسقة ، بالمجرمين والظلمة ، فالهدم من الداخل أعظم ، الهدم من الداخل يحدث عندما يتفلت مقابل كل ملتزم جديد عشرة من الملتزمين القدامى بسبب الفتور ، وإذا كان الإنسان يقوم ليلة ويعصي ألفًا .. فإننا نلاحظ هنا نوعين من الهدم .. الهدم الداخلي في ذات الشخص بأن يهدِمَ الشخصُ إيمانَه ، وفي محيط الدعوة يهدمُ إخوانَه ، ويتركهم للتفلت والنكوص .

* إننا نريد أن نتوقف معًا ننادي إخواننا الذين فُتِنوا ، وعصفت بهم الفتنة من كل جانب حتى من داخلهم ، وتأثير الفتن إذا حدثت من الداخل يكون أشد وقعًا ، وألمها أشد وطئًا .

اسمحوا لي - أحبتي - أن أكون معكم صريحًا إلى حدٍّ قد يؤلمكم ويؤلمني بألمكم ، فإنَّ الجرّاح يقوم بفتح جرح في قلب المريض لكي يزرع قلبًا صحيحًا محل قلبٍ مريض ، ورغم ما في ذلك من الألم للمريض في حينه ، فإنه بعد الجراحة يعاود حياته بنشاط أكبر وحيوية أكثر .. وإن إنسانًا رأى آخر يكاد يلتهمه قطار فدفعه دفعة شديدة طرحته أرضًا ولكنه أنقذه من تحت عجلات القطار ،

أينقم المدفوع على من أنقذه؟ نعم كانت الدفعة شديدة مؤلمة ولكنه أنقذه، أيقظه، نسأل الله تعالى أن يقيض لنا من ينقذنا من النار بفضله ومنّه.

إننا لابد أن نتكاشف ونتناصح، ذلك خير وأولى من ترك العلل تسري في الجسد دون تشخيص أو علاج.

إننا - مع زيادة أعداد الملتزمين - نغفل عن كثرة أعداد المتساقطين، نغفل عن أعداد المفتونين، هذا حلق لحيته، آخر ترك المسجد، وثالث نسي القرآن، ورابع بات لا يصلي الفجر أبدا، وخامس لم يعد يحضر مجالس العلم، وسادس انتقل إلى عمل آخر وظيفته فيه أن يضل الناس ويصدهم عن سبيل الله، هؤلاء جميعًا يحتاجون إلى أن نمد إليهم يد العون، أن نصرخ في آذانهم.

أخي في الله.. هلم إلينا.. حبيبي في الله.

إلى الهدى انتنا

إنه النداء الذي علمنا الله إياه: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١].

إلى الهدى انتنا

ننادي من استهوته الشياطين في الأرض حيران.

ننادي كل من صار يدعو من دون الله ما لا ينفعه ولا يضره.

ننادي عبد المنصب.. عبد الجاه.. أو عبد الدرهم.. من أسلم قلبه لغير الله.. عاشق المظاهر.

ننادي مدمن المعاصي.

ننادي هواة التفلت من دين الله .

ننادي الملتزمين الذين كانوا لنا في يوم من الأيام إخوة .

وإخوانٍ حسبتهمو دُروعًا فَكَانُوها وَلَكِنْ لِلأعَادِي
وَخِلْتُهُمُو سِهَامًا رَامِيَاتٍ فَكَانُوها وَلَكِن في فُؤادي
وَقَالُوا: قَدْ صَفَتْ منَّا قُلُوبٌ وَقَدْ صَدَقُوا وَلَكنِ مِنْ وِدَادي
إخوتـاه ..

دعونا نتأمل ظاهرة التساقط والتفلت ، ظاهرة الافتتان والانسلاخ ، إنها تسببت وما تزال تتسبب في الكثير من الإساءات البالغة . للإسلام والالتزام ، وللدعوة إلى الله ، فإن أقل ما يقال : إنها حائط صد عن الإسلام ، إنها شهادة زور ضد الالتزام .

فيقول الناس : لو كان في الالتزام خير ما ترك التزامه .

دعونا نخاطب الكل : من أصابه الفتور فنسي قيام الليل ، وهجر المصحف ، وجف لسانه عن ذكر الله .

فنقول : أرضيتم بغير الله ربًا ، وهو رباكم بأنعمه وتحبب إليكم بالخيرات فبارزتموه بالمعاصي ؟

أم رضيتم بغير الإسلام دينًا وهو دين الفطرة .

أم رضيتم بغير نبيكم هاديًا وقدوة ، وهو الذي كان يبكي عليكم فيقول : يا رب أمتي ، مَنْ لأمتي من بعدي ؟

ننادي مَنْ فترت همتُهم فنعبث فيهم الحماسة ونذكرهم ببداية القلب وقلب البداية نذكّرهم بالقلب في بداية الالتزام ، وبداية القلب مع الالتزام .. نذكر من انتكسوا .. من وقعوا في المعاصي وفرطوا في الطاعات ..

بداية الغواية

بداية الزلل : " وإذا مسهم طائف من الشيطان "

ووسط الزلل : " كلا بل ران على قلوبهم "

وآخر الزلل : " أم على قلوب أقفالها "

أتبكي على معاصيك والإصرار يضحك

أتخادع بالتوبة إنما تمكر بدينك

إلى الهدى ائتنا

الزبانية
yaqob.com

بداية الغواية

إن بداية الفتور تكون بالتكاسل عن بعض الطاعات ، فبعد أن كان يقوم الليل كله ، ترك قيام الليل ، أو اجتزأ ببعض قيام الليل بعد أن كان قيامه إحدى عشرة ركعة ، صار ركعتين أو أربعًا ، وبعد أن كان يقرأ جزأين من القرآن صار يقرأ جزءًا أو حزبًا ، وبعد أن كان يصلي في اليوم والليلة أربعين صارت عشرين ثم عشرة ، هذه هي البداية .

بل وقد تكون البداية فتورًا في أداء بعض الطاعات ، يصلي ولكن بلا روح ولا إخلاص ، يقرأ القرآن ، ولكن بلا تدبر ، يذكر الله ولكن بلا خشوع ، ويحضر مجالس العلم ولكن يترك قلبه خارج المسجد ، هذه بداية تتراكم معها أمراضٌ أُخَر : استهانة بالذنوب ، واستكثار من العيوب ، تغافل عن المعاصي الواقعة ، إن لم يتب منها سريعًا ويعالجها بالاستغفار الكثير والاستكثار من فعل الطاعات فإنه سينزل إلى دَرَك أحط ويتردى في هاوية أبعد .

فيتدرج من التفريط في بعض الواجبات إلى فعل بعض المحرمات ، ومع إهمال نفسه وقلبه يظل يتردى ويتردى حتى يصل الأمر إلى :

حلق اللحية التي كم جاهد حتى يجعل من إعفائها أمرًا واقعًا في منزله وعمله .

وهجر المساجد التي كم ناضل ليفرغ لها أوقاتًا في وسط زحام المشكلات الدنيوية ، ثم يتزايد الأمر ويتفاقم بترك الصلاة في الجماعات ، ثم ترك الصلاة بالكلية ، وبعدها وإن لم يتداركه الله برحمة ، فإنه يصل - والعياذ بالله - إلى الكفر والردة والعلمنة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

« اللهم يا ولى الإسلام وأهله مَسِّكْنا بالإسلام حتى نلقاك به »[1] .

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩٢٧) كتاب التوبة .

فصل

من تقرب إلي شبرًا

مَنْ مِنَّا ليس فيه شيء من التهاون والتفلت ، لاشك أننا كلنا - ومع طول الأمد - قَسَتْ منا القلوب ، وتكاثرت فينا العيوب ، وازدادت منا الذنوب ، وقلت الطاعات كمًّا وكيفًا ، روحًا وإخلاصًا ، لاشك أننا كلنا - وفي وقت ما - قد أصابنا شيءٌ من ذلك ، فلذلك نُذَكِّر أنفسنا وإياكم برحمة ربنا وبقوله عز من قائل : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣] .

ويقول ربنا في الحديث القدسي « **مَنْ تَقَرَّب إليَّ شِبْرًا تقربتُ منه ذِراعًا ، ومَنْ تقرب إلي ذراعًا ، تقربتُ منه باعًا ، ومن مشي إليَّ أتيته هرولة** »[1] .

آه لو تدبرنا ما نسمع وما نقرأ لوجلت منا القلوب ، ولما أطقنا صبرا عن الله .

أقول : إن هذه المشاكل إذا أدركناها في البداية وتداركناها قبل الغواية ، نكون قد وضعنا لها حدًّا فاصلًا ؛ لذا نسارع في معالجة هذه الظاهرة ، ففي بعض الأحيان قد لا تحتاج المشكلة لأكثر من كلمة أو قرار ، وقد لا يحتاج الأمر إلى أكثر من وقفة .

تجد بعض الناس وقد أدركته مشكلة : خلاف مع أهله في مسألة حلق اللحية ، فإذا هو يتردد ويسأل فلانًا وفلانًا ، إن هذا التردد سيودي بإيمانه ولو بقيت لحيته ، إن الأمر يحتاج إلى قرار مجرد قرار وهو : لن أحلق اللحية !

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ ، ومسلم برقم (٢٦٧٥) كتاب التوبة ، باب في الحض على التوبة والفرح بها .

وانتهت ، ولا تشغل بالك ، وسيظل إيمانه في ازدياد .. بهذه الطاعة التي تقرب بها وهي الثبات على السنة ، وعدم طاعة المخلوق في معصية الخالق ، ومراغمة الشيطان بهذا الثبات .

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا ... ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٢٢] .

فهذه المواقف إذا انتهت بالثبات على الحق ، وعدم الإنصات للباطل ، وعدم التراجع عن الصواب أفادت زيادة الإيمان .

قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد : ١٧] .

فتقرب إلى الله بالثبات على الطاعة شبرًا ليتقرب الله إليك بالإعانة والمدد ذراعًا[1] .

وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ فالإيمان يزيد بهذه الطاعة ، واعلم يقينًا بأن هذا سيولد طاعات أخرى جديدة .

بعض المشاكل - مشاكل الفتور - لا تحتاج أكثر من كلمة ، مثلُ الوسوسة ، فإنه عندما يوسوس إليه الشيطان يقول كما علمه رسول الله : « **آمنت بالله ورسله** »[2] ويتفل عن يساره ، وانتهت ، أما كثرة اللجاجة فإن هذا مما يزيد المشكلة حدة .

---

(١) ليس المقصد هنا التأويل ، فمذهبنا - كما هو معلوم - مذهب أهل السنة والجماعة بإثبات الصفات ، فتقرب الله للعبد تقرب حقيقي ، كما قال الله ، لا كما يخطر بالبال ، فتقربه سبحانه من عبده حقيقة ، يمد العبد بالإعانة والثبات كما ذكرت ، فتنبه .

(٢) أخرجه مسلم (١٣٤) كتاب الإيمان . باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها .

فصل

افتقاد الحدب الأخوي يؤدي إلى

سوء الظن بالصحبة

في أحيان أخرى قد يكفي لحل المشكلة القائمة زيارة من أخ كبير أو اعتذار، أو لقاء أو حتى ابتسامة عند اللقاء، قد يكون الأمر كذلك، ولذلك فإنني لا أخاطب المبتلَين فقط، ولكني أخاطب الأصحّاء أيضا لكي يعينوا المرضى «**واللَّه في عونِ العبدِ ما كان العبدُ في عونِ أخيه**»[1]. إنني أريدك أن تأخذ هذا الكتاب لتهديه إلى أخ لم تره منذ شهر، أو منذ فترة قد تقل أو تكثر عن ذلك، إذا أحسست أن غيابه كان بسبب الفتور، إذا شعرت بتباعده فخذ بيده، وقل له: «إلى الهدى ائتنا» ومن دعا إلى الهدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه.

إلى الهدى ائتنا

لتكن شعارًا.. لتكن دعوة.. لتكن مصباح هداية.. لتكن مأوى لعابري السبيل من الفارين عن طريق اللَّه.

أيها الإخوة، نقول: إن الأمر أحيانًا لا يحتاج إلى أكثر من: كلمة، قرار، زيارة، لقاء، اعتذار، معاتبة، نصيحة، توضيح، مكاشفة أو حتى مجرد مصافحة مع ابتسامة رقيقة وهدية بسيطة، كلمة مجاملة لطيفة أو ثناء عاطر عابر، أو ربما لأقل من ذلك من تلك التكاليف السهلة اليسيرة، أما حين تُترك

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.